

كلفة الراحة



السَّبْتُ بَعْدَ الظُّهْرِ

المراجع الأسبوعية: ٢ صموئيل ١١: ١-٢٧؛ ٢ صموئيل ١٢: ١-٢٣؛ تكوين ٣: ١-٨؛
أيوحنا ١: ٩.

آية الحفظ: «قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللَّهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي» (مزمو ٥١: ١٠).

يسعى الكثير من الناس جاهدين للحصول على القليل من السلام والهدوء. وهم على استعداد لأن يدفعوا ثمن ذلك، أيضًا. في العديد من المدن الكبيرة، توجد غرف خالية من الإنترنت يمكن استئجارها بالساعة. والقواعد في تلك الغرف صارمة للغاية — لا ضوضاء، ولا زوَّار. الناس على استعداد لدفع المال حتى يتمكنوا من الجلوس بهدوء أو التفكير أو حتى مجرد أخذ غفوة أو قيلولة. هناك «قرون قيلولة» يمكن استئجارها في المطارات، وسماعات للأذن من شأنها الحد من الضوضاء. هناك أيضًا أغطية قماشية، أو دروع خاصة قابلة للطي يمكنك شراؤها ووضع رأسك وصدرك داخلها للحصول على فترة راحة قصيرة أثناء تواجدك في مكان العمل.

والراحة الحقيقية لها تكلفتها أيضًا. يحاول الأطباء الاستشاريون في وسائل الإعلام الخاصة بتقديم المساعدة الذاتية أن يجعلونا نعتقد أنه يمكننا تحديد مصيرنا، وأن ما تبقى هو مجرد مسألة اختيار وتخطيط. ومع ذلك، وعلى الأقل عندما نفكر في هذا الأمر بأمانة، فإننا ندرك عدم قدرتنا على جلب الراحة الحقيقية لقلوبنا. في القرن الرابع، عبّر أوغسطين عن هذه الفكرة بإيجاز في اعترافاته الشهيرة (الكتاب ١). فعند تمعنه في نعمة الله، خاطب الله بالقول: «لقد خلقتنا لأجل ذاتك، وستبقى قلوبنا قلقة إلى أن تجد الراحة فيك». هذا الأسبوع سننظر بإيجاز إلى حياة الرجل الذي كان حَسَبَ قَلْبِ اللَّهِ لمعرفة كيف اكتشف التكلفة الحقيقية لراحة الله.

* نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم، الموافق ٢٤ تموز (يوليو).

مُعِي وَمُنْهَكَ

في أمسية ربيعية معتدلة وعطرة، تمشى الملك داود على سطح قصره. كان يجب أن يكون مع جيشه على الضفة الأخرى من نهر الأردن. وكان يجب عليه أن يقود شعب الله لهزيمة العمونيين، ومن ثم إحلال السلام في المملكة.

وقد أدى عدم وجود داود في المكان الذي كان يجب أن يتواجد فيه إلى فتح باب التجربة أمامه. اقرأ القصة في ٢ صموئيل ١١: ١-٥. ماذا حدث، وأية خطية عظيمة اقترفها داود؟

من فوق سطح قصره، رأى داود «امرأة جميلة جداً» تستحم. وقد استولت عليه مشاعره الآتمة في ذلك المساء، وأضطجع مع بشبع، زوجة ضابط موثوق به في جيش داود. مثل جميع الملوك القدماء، كانت لدى داود سلطة مطلقة. فهو كملك لم يكن عليه أن يتبع القوانين التي تحكم الجميع. ومع ذلك، فإن القصة المؤلمة لعائلة داود بعد هذه اللحظة المغيرة للأحداث تذكّرنا بحقيقة أن داود رغم كونه الملك، لم يكن أعلى من شريعة الله. والواقع أن الشريعة موجودة كحماية وضمانة، وعندما تعدّها الملك، واجه عواقب وخيمة. بمجرد أن تجاوز داود حدود شريعة الله، بدأ يشعر بتأثيرات ذلك على جميع جوانب حياته. اعتقد داود أن نزوته العاطفية قد مرّت دون أن يلاحظها أحد؛ ومع ذلك، فقد حبلت بشبع بينما كان زوجها بعيداً جداً عن البيت.

اقرأ ٢ صموئيل ١١: ٦-٢٧. كيف حاول داود التستر على خطيته؟

إنّه حتى أكثر مخططات داود دهاءً لإعادة أُورِيَّا إلى منزل زوجته بشبع قد فشلت. كان أُورِيَّا رجلاً ذات سمعة ممتازة، وقد ردّ على تلميحات داود الماكرة: «فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُودًا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوَابُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لَأَكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ.» (٢ صموئيل ١١: ١١). في النهاية لجأ داود اليأس إلى عملية اغتيال أدارها من خلال «التحكّم عن بعد»، وذلك لتغطية خطيته.

من الصعب تصديق أن داود، الذي أعطاه الله الكثير، كان يمكن أن يتدنّى إلى هذا الحد. بغض النظر عمّن نكون، ما هو التحذير الذي يجب أن نلتفت إليه جميعاً من هذه القصة؟

دعوة ايقاظ واستنهاض

في خضم وقت من أحلك أوقات حياة داود، كانت هناك أخبار سارة: فقد أرسل الله نبيه ناثان. عرف ناثان وداود بَعْضُهُمَا بَعْضًا جيدًا. في وقت سابق، كان ناثان قد نصح داود بشأن الأمور المتعلقة ببناء الهيكل (٢صموئيل ٧). مع ذلك، فقد جاء النبي هذه المرة للقيام بمهمة مختلفة تخصّ الملك.

برأيك، لماذا اختار ناثان أن يسرد على داود قصة بدلاً من أن يشير إلى خطية داود وتوبيخه عليها على الفور؟ اقرأ ٢صموئيل ١٢: ١-١٤.

عرف ناثان ماذا يقول، وقال ذلك بطريقة يمكن أن يفهمها داود. وقد سرد قصة أمكن لداود، باعتباره راعي أغنام سابق، أن يفهمها. كان يعرف إحساس داود العالي بالعدالة والاستقامة. وهكذا، يمكن القول، إلى حد ما، أن ناثان قد وضع فخاً لداود، وأن داود قد وقع في هذا الفخ. عندما نطق داود عن غير قصد بعقوبة الإعدام على نفسه، قال له ناثان «أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ!» (٢صموئيل ١٢: ٧). هناك طرق مختلفة لقول «أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ!» يمكن للمرء أن يصرخ، يمكن للمرء أن يتهم ويضع إصبعاً في وجه الشخص الآخر، أو يمكن للمرء أن يعبر عن الاهتمام والعناية. لا بد أن كلمات ناثان قد كانت مشبعة بالنعمة. في تلك اللحظة، لا بد أن داود قد شعر بالألم الذي يجب أن يشعر به الله عندما يعصي أحد أبنائه مشيئة الله عن عمد. وهكذا نفذت الفكرة إلى عقل داود، ومزق شيء ما قلبه.

لماذا أجاب داود بالقول: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ» بدلاً من أن يقول: «أَخْطَأْتُ إِلَى بَشِيع» أو «أنا قاتل» (٢صموئيل ١٢: ١٣؛ انظر أيضاً مزمو ٥١: ٤)؟

أدرك داود أن الخطية، التي تجعل قلبنا مضطرباً، هي في الأساس إهانة ضد الله، الخالق والمخلص. إننا نوذي أنفسنا، ونؤثر سلباً على الآخرين. نحن نجلب العار على عائلاتنا أو كنائسنا. ولكننا، في نهاية المطاف، نوّلم الله ونغرّز مسماراً آخر في جسد من علّق على صليب الجلجثة لأجلنا.

«وقد مس توبيخ النبي قلب داود فاستيقظ ضميره، وظهرت جريمته أمامه كما هي في شناعتها فانحنت نفسه في توبة وانسحاق أمام الرب، وبشفيتين مرتعشتين من فرط التأثر قال: **قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ**، إن كل ظلم يرتكبه أي إنسان ضد الآخرين يصل من المظلومين إلى الله. لقد ارتكب داود خطية هائلة في حق أوريا وفي حق بشيع فأحس بكل هذا وتألّم أشد الألم. ولكن خطيته ضد الله كانت أعظم من ذلك بما لا يقاس» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٦٥٥).

المغفرة والنسيان

بعد أن نطق داود بالحكم على نفسه دون قصد (٢ صموئيل ١٢: ٥، ٦)، واجهه ناثان ببشاعة خطيته. انسحق قلب داود واعترف بخطيته. وعلى الفور أكد ناثان له أن «الرَّبُّ أَيضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيئَتَكَ» (٢ صموئيل ١٢: ١٣)، وأن الرب قد غفر له وسامحه. لا توجد هناك فترة انتظار للحصول على مغفرة الله. لم يكن يجب على داود أن يثبت أنه صادق حقًا قبل أن يتم منحه المغفرة.

ومع ذلك، فإن ناثان، الذي تنبأ بالفعل بعواقب خطية داود في ٢ صموئيل ١٢: ١٠-١٢، قال لداود إن الطفل المولود سيموت.

ماذا يعني أن الله قد نَقَلَ خطية داود؟ هل نسي الله الأمر بالمرة؟ هل ينسى الجميع الأمر ببساطة؟ اقرأ ٢ صموئيل ١٢: ١٠-٢٣ بينما أنت تفكر في هذه الأسئلة.

لا بد أن يكون داود قد استفسر أيضًا عن هذه الأسئلة عندما رأى عالمه ينهار — الابن المولود الذي سوف يموت، وعائلته التي كانت في حالة من الفوضى والتفكك (فإننا قصتا أمنون وأبشالوم هما مثالان جيدان على مشاكل الحياة الواقعية)، ومستقبله غير المؤكد. ومع ذلك، على الرغم من عواقب خطيته، التي أثرت على الأبرياء مثل أوريا والطفل المولود حديثًا، بدأ داود أيضًا في إدراك أن نعمة الله ستستر كل هذا وأنه يومًا ما سيتم التخلص من جميع عواقب الخطية. وفي غضون ذلك، كان يمكنه أن يجد راحة لضميره المضطرب، في نعمة الله.

ما الذي شعر داود أنه بحاجة إليه حقًا؟ ما الذي تاق إليه؟ اقرأ مزمو ٥١: ١-٦.

في المزمور ٥١، يصرخ داود ويفتح لله قلبه ويعترف بخطاياها. إن صرخة داود من أجل الرحمة تلتمس محبة الله التي لا تسقط أبدًا ورحمته العظيمة. لقد تاق داود للتجديد. عندما نفكر في تكلفة الراحة في يسوع، نحتاج أولًا أن ندرك أننا بحاجة إلى مساعدة خارجية؛ نحن خطاة ونحتاج مخلصًا. نحن نعتزف بخطايانا ونصرخ إلى ذاك الذي وحده يمكنه أن يغسلنا ويظفرنا ويجددنا. عندما نفعل ذلك، يمكننا أن نتحلى بالشجاعة: فتجد زناة وقتلة ومَن ينتهكون ما لا يقل عن خمس من الوصايا العشر يصرخون طلبًا في العون — ويطلبون بوعد مغفرة الله.

إذا كان الله قد غفر لداود ما اقترفه، فما هو الرجاء المقدم لك أنت أيضًا؟

شيء جديد

بعد أن اعترف داود بخطيته دون أن يحاول تبريرها أو التستر عليها، أخذ يتوسل إلى الله. ما الذي طلبه من الله؟ اقرأ مزمو ٥١: ٧-١٢.

إن داود بإشارته إلى التطهير بالزوفاء قد استخدم مصطلحًا معروفًا لدى جميع بني إسرائيل الذين حدث وأن زاروا الهيكل. كما أنه قد أشار بذلك إلى أعمال التطهير الطقسية الموصوفة في شريعة موسى (لاويين ١٤: ٤)، لقد أدرك قوة الذبيحة — يسوع المسيح — الذي كان سيأتي في المستقبل ليحمل خطايا العالم. ويتابع داود أيضًا ويطلب «السرور» و «الفرح». لقد طلب هذا في ظل هول خطيته، أليس في هذا جرأة، نوعًا ما؟ قد يكون من المفيد الاستماع إلى إعادة صياغة لهذه الآية: «قُلْ لي إنَّه قد غُفِرَ لي حتى أتمكن من دخول الهيكل مرة أخرى، حيث يمكنني سماع فرحة وسرور أولئك الذين يعبدونك.»

عندما أخطأ آدم وحواء، إِخْتَبَأَ من حضور الله (تكوين ٣: ٨). لماذا تعتقد أن طلب داود، حتى بعد خطيته، كان مختلفًا جدًا عما فعله آدم وحواء؟ اقرأ مزمو ٥١: ١١، ١٢.

لم يرد داود أن يفقد إحساسه بالعيش في حضور الله. لقد أدرك أنه بدون الروح القدس، سيكون عاجزًا. وقد علم أنه كما انزل بسهولة إلى الخطية مع بثشبع، كان يمكن أن ينزل إلى الخطية مرة أخرى. لقد تحطمت ثقته بنفسه. لقد أدرك داود أن الانتصارات المستقبلية لن تأتي بقوته، بل ستأتي فقط من الله إذ يتكل داود كليًا عليه. إن الحياة المسيحية المنتصرة لا يمكننا إحرازها بقوتنا. بل هي تتحقق من خلال يسوع. من خلال توقنا إلى حضوره. توقنا إلى روحه القدس، ورغبنا في الحصول على فرح خلاصه. وتتحقق كذلك من إدراك حاجتنا للانعاش الروحي والإصلاح. نحن بحاجة إلى الراحة — وهي عمل إلهي يعرف على أنه «إعادة الخلق». إن راحة الخلق ليست بعيدة عن المغفرة. إن عبارة «قَلْبًا تَقِيًّا أَخْلُقُ فِي يَا إِلَهِي، وَرَوْحًا مُسْتَقِيمًا جَدُّ فِي دَاخِلِي» (مزمو ٥١: ١٠) تستخدم مصطلحًا من مصطلحات عمل الخلق. في العهد القديم فقط الله هو الذي يمكنه أن «يَخْلُق» (بارا) — وبمجرد إعادة خلقنا، يمكننا أن نرتاح.

إذا لم تختبر فرح وسعادة التحرر من الضمير المذنب، فما الذي يمنعك؟ إذا كان الشعور بالذنب هو السبب، فما الذي يمكن أن تتعلمه من هذه القصة، ويجب أن يساعدك على التحرر من هذا الشعور بالذنب؟

عاكسون لنور الله

ربما يكون الشيء الطبيعي للغاية الذي نقوم به بعد أن ن فشل فشلاً مخجلاً في أمر ما ونحصل على المغفرة لاقتراه، هو محاولة نسيان أن ذلك الحدث قد وقع بالفعل. فإن ذكريات الفشل يمكن أن تكون ذكريات مؤلمة جداً.

ماذا أراد داود أن يفعل باختباره الأليم؟ اقرأ مزمور ٥١: ١٣-١٩.

عندما يسقط وعاء أو إناء ثمين على الأرض ثم يتهشم إلى قطع، فإننا عادة ما نتحسر ونتخلص من القطع المكسورة عديمة الفائدة. يوجد في اليابان فن تقليدي يسمى «كينتسوجي»، متخصص في إعادة صناعة الفخار المكسور. ويستخدم معدن نفيس، مثل الذهب السائل أو الفضة، في لصق القطع المكسورة معاً وتحويل العنصر المكسور إلى شيء جميل وذات قيمة. في كل مرة يغفر الله فيها تجاوزاتنا ويعيد خلقنا مرة أخرى، يتغير فينا شيء ما. إن مغفرة الله الثمينة تلتصق كسورنا معاً، ويمكن للكسور الظاهرة أن تلتفت الانتباه إلى نعمته. يمكننا أن نصبح مكبرات الصوت الخاصة بالله. «فَيَسْبَحُ لِسَانِي بِرَبِّكَ» (مزمور ٥١: ١٤). نحن لا نحاول إصلاح أنفسنا بأنفسنا أو العمل على التحسين الذاتي لأنفسنا (حتى بشكل تدريجي). إن أرواحنا المكسورة، وقلوبنا الثائبة، هي تسيح كافٍ لله — وهي أشعة نور يمكن للعالم أن يراها تحيط بنا. إن اختبارنا لمغفرة الله يجذب الآخرين الذين يبحثون عن الغفران.

ما هي العلاقة بين مزمور ٥١ و١ يوحنا ١: ٩؟

الآية في يوحنا الأولى ١: ٩ هي ملخص موجز لمزمور ٥١. فكما عرف داود أن «القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره» (مزمور ٥١: ١٧)، يؤكد لنا يوحنا أنه «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ آمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (١ يوحنا ١: ٩). ونحن دائماً يمكننا الثقة فيما يقوله الله.

مرة أخرى، لم يستطع داود إصلاح الضرر الهائل الذي أحدثه من خلال أفعاله والمثال السيء الذي أعطاه لعائلته. لقد عانى من عواقب قراراته وأفعاله. ومع ذلك، عرف داود أنه قد عُفِرَ له. كان يعلم أنه بحاجة إلى أن يثق بالإيمان بأنه في يوم ما سيأتي حَمَلُ الله الحقيقي ويحمل ذنوبه نيابة عنه.

كيف يمكنك أن تتعلم الآن تطبيق الوعود الواردة ١ يوحنا ١: ٩ على حياتك الخاصة؟ كيف ينبغي أن تشعر بعد أن تفعل ذلك وتعلم أن الوعد هو لك أنت، أيضاً؟

لَمَزِيدٍ مِنَ الدَّرْسِ: «كانت توبة داود قوية خالصة وعميقة. فهو لم يحاول التماس عذر عن جريمته، وليس الذي أوحى إليه تلك الصلاة أي رغبة في اجتناب أحكام الرب التي كانت تهدده ... ورأى النجاسة التي تلوثت بها نفسه، فاشمأز من خطيته. إنه لم يطلب في صلاته الغفران فقط، بل طلب أيضا طهارة القلب... إذ رأى في مواعيد الله للخطاة التأديب برهانا على غفرانه لخطاياهم وقبوله إياهم. «دَبَّأْتُ إِلَهَ هَي رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا إِلَهَ لَا تَحْتَقِرْهُ» [مزمور ٥١: ١٦، ١٧]. ومع أن داود سقط فقد رفعه الله....

«غير أن داود تذلل معترفا بخطيته وتائبًا عنها، بينما شاول احتقر التوبخ وقسى قلبه ولم يتب. «إن هذه الفترة من تاريخ ... داود ... من أقوى الأمثلة الفعالة المؤثرة المعطاة لنا عن محاربات البشرية وتجاربها وعن التوبة الصادقة... وطيلة الأجيال ... فإن ألوفا من أولاد الله الذين سقطوا في الخطية ... ذكروا ... توبة داود واعترافه بإخلاق ... فتشجعوا هم أيضا على أن يتوبوا ويحاولوا من جديد أن يسيروا في طريق وصايا الله.

«إن أي إنسان ... متى تذلل بالاعتراف والتوبة كما قد فعل داود، يمكنه أن يتحقق من أن له رجاء... إن الرب لن يطرح خارجا أي نفس تائبة توبة صادقة» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٦٥٨، ٦٥٩).

أسئلة للنقاش

١. كيف يمكننا تحقيق التوازن بين الاعتراف بخطيتنا المتأصلة والحاجة إلى الغفران، وفي نفس الوقت، العيش كأبناء ملك الكون المغفور لنا؟
٢. لماذا تُعتبر كل خطية، في نهاية المطاف، هي خطية ضد الله؟ ماذا تعني الخطية ضد الله؟
٣. ماذا نقول لشخص غير مؤمن يجد صعوبة في فهم معاناة الأبرياء مثل أوريا أو ابن داود الذي مات بعد ولادته بفترة وجيزة، أو بثشبع؟ كيف نشرح محبة الله وعدله في مثل هذه الحالة؟ كيف يقدم مفهوم الصراع العظيم توضيحًا مفيدًا لهذا الأمر؟
٤. لماذا يكرس الكتاب المقدس أصحابين كاملين للقصة الدنيئة الخاصة بدادود وبثشبع؟ ما الغرض من إعادة سرد هذه القصة؟
٥. تمنع في فكرة أن الخطية تفصلنا عن الله كما يرد ذلك في مزمور ٥١: ١١، ١٢. ما هو اختبارك في كيفية حدوث ذلك؟ كيف يكون شعورك عندما يحدث هذا الانفصال؟ كيف تشرح لشخص ما الشعور الذي يصاحب هذا الانفصال ولماذا هو شعور غير مريح بالمرّة؟ لماذا يعتبر وعد النعمة هو العلاج الوحيد؟